اعْتِدالُ آلِ البَيْتِ

(عليهم السلام)

ومقاومتهم لكل صور الغلو فيهم

كتبه

أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى ذريته الطيبين الطاهرين .

أما بعد :

فقد قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب: ٣٣

ولا شك أن تخصيص الباري عز وجلّ لأهل بيت نبيه ﷺ بهذه الإرادة الشرعية (لا الكونية) ، بأن يذهب عنهم الرجس وأن يتطهّروا الطهارة التامة ، فيه ما يبين فضلهم وشرفهم ، وأنهم أولى من غيرهم بحمل هذا الدين بسماحته ووسطيته واعتداله ، وببرّه وإحسانه .

وقد كان آل البيت (عليهم السلام) كذلك ، فقد ورثوا من النبوة علمها وهديها ، وفازوا من الرسالة بنورها الذي يهدي من الضلالة ، وصراطها المستقيم الذي يحمي من الزيغ . فكانوا سادة الأمة إيمانا وتُقى ، وقادتها في الاعتدال والوسطية .

وقد حرصت في هذه الأوراق العَجِلات أن أبرز جانبا ضئيلا من مظاهر اعتدال آل البيت ومقاومتهم للغلو .

وقد بنيته على اثني عشر مبحثًا :

١ – نماذج من محاربة دعاوى الغلو فيهم :

٢ – الإنصاف من النفس بتفضيل غيرها عليها

٣– تولّي الشيخين والصحابة

٤ – الأمر بالاعتدال في الحب وذم الغلو فيه

٥– ذكر فضائل المخالفين

٦- النهي عن شتم المخالفين بما ليس فيهم

٧- عدم محاباة الموالين

٨- الإنصاف والدقة في حكاية النزاع

٩- عدم تكفير من كفروهم وقاتلوهم كالخوارج

١٠- إعطاء الحقوق الإسلامية موفورة لأغلظ المخالفين وأشدهم وهم الخوارج المكفِّرة

١١- عدم تكفير من قاتله في الجمل وصفين .

١٢- تحكيم شرع الله في مخالفيهم

١٣- الحرص على الألفة بين المسلمين وعدم الخوض فيما يفرقهم

وشرطي في هذا البحث أن لا أنقل من مصادر أهل السنة إلا ما ثبت (صحَّ أو حَسُن إسنادُه) ، وأما ما أنقله عن مصادر الشيعة فالعهدة عليهم فيه .

فأسأل الله التوفيق والقبول !

نماذج من محاربة دعاوى الغلو فيهم :
بالألوهية ، وادعاء علم الغيب ، وادعاء اختصاصهم بوحي ليس عند الناس وغير ذلك .

أولا : موقفهم ممن ادّعَى لأحدهم الألوهية :

في صحيح البخاري (رقم٦٩٢٢) : عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ : «أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِزَنَادِقَةٍ ، فَأَحْرَقَهُمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ أَنَا ، لمَ ْأُحْرِقْهُمْ ؛ لِنَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ : لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله . وَلَقَتَلْتُهُمْ ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1] .

---

(١)ومع اشتهار هذه القصة ، وتنزيل كثير من العلماء لها على السبئية ؛ إلا أن ذلك لم يأت بإسناد صحيح ولا حسن ولا خفيف الضعف ، فكلها جاءت بأسانيد شديدة الضعف .

وجاء ما يعارضها بإسناد أصلح منها ، مما يبين من هم هؤلاء الذين أحرقهم علي رضي الله عنه : فقد أخرج ابن أبي شيبة (رقم٢٩٦١١ ، ٣٣٤١٤ ، ٣٣٨٢٥ ، ٢٩٦١١ ٣٣٤١٤ ، ٣٣٨٢٥) ، وأبو بكر الخلال في أهل الملل والردة والزنادقة من كتاب الجامع (٢/ ٥٢٦-٥٢٥ رقم١٣٣٤) : بإسناد صحيح إلى عبيد بن نِسْطاس العامري (وهو ثقة) ، قَالَ : «كَانَ أُنَاسٌ يَأْخُذُونَ الْعَطَاءَ وَالرِّزْقَ ، وَيُصَلُّونَ مَعَ النَّاسِ ، كَانُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ فِي السِّرِّ ، فَأُتِيَ بِهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَوَضَعَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ ، أَوْ قَالَ : فِي السِّجْنِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا تَرَوْنَ فِي قَوْمٍ كَانُوا يَأْخُذُونَ مَعَكُم الْعَطَاءَ وَالرِّزْقَ ، وَيَعْبُدُونَ هَذِهِ الأَصْنَامَ ؟ قَالَ النَّاسُ : اقْتُلْهُمْ ، قَالَ : لاَ ، وَلَكِنْ أَصْنَعُ بِهِمْ كَمَا صُنِعَ بِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ صلوات الله عليه ، فَحَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ» .

ومع أن عبيد بن نسطاس قد صرح عند الخلال برؤيته لتلك الحفرة التي حُرقوا فيها ؛ إلا أن الإمام أحمد شكك في سماعه من علي رضي الله عنه ، وفي مشاهدته للقصة ، حيث قال (كما عند الخلال) : «ما أرى لقي عليا ، لعله رأى الحفرة بعد» .

ومع أن الإمام البخاري أثبت رؤيته للمغيرة بن شعبة في التاريخ الكبير (٦/ ٦) ، مما يدل على أنه من التابعين ، ولذلك ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥/ ١٣٨) ، لكن روايته عن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود تشهد من وجه آخر لتأخر طبقته عن إدراك علي رضي الله عنه ، وإن كان تابعيا .

ثم إن الإمام أحمد انتقد متن هذا الخبر أيضًا من جهة فقهه ، بما يخالفه في فقهه غيره من الأئمة ، بل للإمام أحمد نفسه روايات لا تعارض في فقهه .

ومع ذلك فهذا الخبر لهذه القصة هو أقوى ما ورد في تعيين حقيقة خبر هؤلاء الذين أحرقهم علي ﷺ ، رغم التردّد في اتصال سنده ، وهو يبين أنهم كانوا عباد أوثان ، ولا علاقة لهم بالسبئية وبعبدالله بن سبأ.

ويشهد له ما أخرجه الإمام أحمد (رقم٢٩٦٦) ، والنسائي (رقم ٤٠٦٤-٤٠٦٥) : من حديث عبدالصمد بن عبد الوارث ،عن هشام الدستوائي ، عن قتادة ، عن أنس ﷺ : « أن عليا رضي الله عنه أتي بناس من الزط ، يعبدون وثنًا ، فحرقهم بالنار . فقال بن عباس : إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه» .

وهذا إسناد صحيح ، لكن أبا حاتم الرازي وهَّمَ عبدالصمد بن عبدالوارث في إسناده ، ورأى أن صوابه أنه من حديث قتادة عن عكرمة ، لا عن أنس ، كما في العلل لابن أبي حاتم (رقم١٣٤٨) .

ومع أن أبا حاتم وهّمَ عبدالصمد في إسناده ، لكن ذلك لا يمنع من الاستشهاد بمتنه .

وأما ما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٨٢ شرح الحديث الذي برقم٦٩٢٢) وحسّنَ إسنادَه ، نقلا من الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلِّص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال : « قيل لعلي أن هنا قوما على باب المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم ...» . فقد وقفت عليه في الجزء المذكور من المخلصيات (١/ ٣٣٥رقم٥٤٦) ، وهو من حديث عبدالله بن الزبير عن عبد الله بن شريك العامري . وعبدالله بن الزبير هذا هو عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي أبو محمد ، والد الحافظ أبي أحمد محمد الزبيري . ضعفه أو نعيم الفضل بن دُكين تضعيفًا شديدا ، فقال : «لا يُكتب حديثه ، ولا تخبر أبا أحمد بذلك» ، وقال أبو زرعة : «كان أبو أحمد صديقا لأبي نعيم ، فكره أن يسوءه في أبيه ، وهو ضعيف الحديث» ، وقال أبو حاتم الرازي : «هو لين» . الجرح والتعديل (٥/ ٥٦) ، ولسان الميزان (٤/ ٤٧٩رقم٤٢٤٠) .

وفي المصادر الشيعية :

في معرفة الرجال للكشي (١٠٧-١٠٩) : أخبارٌ في ذمّ آل البيت (عليهم السلام) لعبدالله بن سبأ ، وتكفيرهم له ، والتشنيع عليه أشد التشنيع بادعائه الربوبية في علي رضي الله عنه .

وفيه (١٠٩) : ذكر السبئية من كلام الصادق ، وقصةُ إحراقهم .

وفيه (١٠٨) : عن السجاد علي بن الحسين قَولُه : « لعن الله من كذب علينا ، إني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادعى أمرا عظيما ، ما له لعنه الله ؟! كان علي (عليه السلام) عبدًا لله صالحًا ، أخو رسول الله ، ما نال الكرامة من الله ؛ إلا بطاعته لله ورسوله» .

وفيه (٣٠٥رقم٥٤٨) : تكذيب جعفر الصادق لابن سبأ وللمختار .

وفي معرفة الرجال للكشي أيضًا (٣٢٣) : أن رجلين دخلا على أبي عبدالله جعفر الصادق فقالا له : «جُعلنا فداك ! إن المفضل بن عمر يقول إنكم تقدّرون أرزاق العباد ؟ فقال : والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ، ولقد احتجت إلى طعام عيالي ، فضاق صدري ، وأبلغتُ في الفكرة في ذلك ، حتى أحرزتُ قوتهم ، فعندها طابت نفسي . لعنه الله ، وبرئ منه ! فقالا : أفتلعنه وتتبرّأ منه ؟ قال : نعم ، فالْعَنَاه وتَبَرَّءَا منه ، بَرِئَ الله ورسولُه منه! » .

وكَفَّر الصادقُ بشارًا الشعيري ؛ لأنه كان من الغلاة ، وادعى الألوهية لعلي ، كما معرفة الرجال للكشي (٣٩٨-٤٠١) .

ثانيا : تحقيق آل البيت للتوحيد :

ومن كتب الشيعة :

ففي كتاب : الاعتقادات في دين الإمامية ، للشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) تحقيق : عصام عبد السيد . الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٤ - ١٩٩٣ م الناشر : دار المفيد للطباعة

والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان (١٠٠-٩٩) : أن علي بن موسى الرضا كان يقول : «اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة ، فلا حول ولا قوة إلا بك . اللهم إني أبرأ إليك من الذين ادّعَوا لنا ما ليس لنا بحق ، اللهم إني أبرأ إليك ممن قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا .اللهم لك الخلق ، ومنك الأمر ، وإياك نعبد ، وإياك نستعين . اللهم أنت خالقنا ، وخالق آبائنا الأولين ، وخالق أبنائنا الآخرين . اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ، ولا تصلح الإلهية إلا لك ؛ فالعن النصارى الذين صغّروا عظمتك ، والعن المضاهين لقولهم من بريتك . اللهم إنا عبيدك ، وأبناء عبيدك ، لا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . اللهم من زعم أننا أرباب فنحن منه براء ، ومن زعم أن إلينا الخلقَ وعلينا الرزقَ فنحن إليك منه براء ، براءةً كبراءةِ عيسى (عليه السلام) من النصارى ، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون ، فلا تؤاخذنا بما يقولون ، واغفر لنا ما يزعمون» .

وسبق ذكرُ ما في معرفة الرجال للكشي أيضًا (٣٢٣) : أن رجلين دخلا على أبي عبدالله جعفر الصادق فقالا له : «جُعلنا فداك ! إن المفضل بن عمر يقول إنكم تقدّرون أرزاق العباد؟ فقال : والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ، ولقد احتجت إلى طعام عيالي ، فضاق صدري ، وأبلغتُ في الفكرة في ذلك ، حتى أحرزتُ قوتهم ، فعندها طابت نفسي . لعنه الله ، وبرئ منه ! فقالا : أفتلعنه وتتبرّأمنه ؟ قال : نعم ، فالْعَنَاه وتَبَرَّءَا منه ، بَرِئَ الله ورسولُه منه! » .

ثالثا : وفي نَفْيِ اختصاصهم بشيء من الوحي :

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنْ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ » .

أخرجه البخاري (رقم ١١١ ، ١٨٧٠ ، ٣٠٤٧ ، ٣١٧٢ ، ٣١٧٩ ، ٦٧٥٥ ، ٦٩٠٣ ، ٦٩١٥ ، ٧٣٠٠) .

وقال الحسن بن محمد بن الحنفية (ت١٠٠هـ) في كتاب (الإرجاء) له [١] : « ومن قول هذه [السبئية][٢] التي أدركنا أن يقولوا : هُدينا بوحى ضل عنه الناس ، وعِلْمٍ خفى ، ويزعمون أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتم تسعه أعشار القرآن ، ولو كان نبي الله ﷺ كاتما شيئًا مما أنزل لكتم شأن امرأة زيد : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ الأحزاب: ٣٧ ، ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾التحريم: ١ ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٤»[٣] .

رابعا : وفي نفي الرجعة أو عدم الموت :

(١) كتاب (الإرجاء) هذا هو رسالة ثابتة عن الحسن بن محمد ، ذكرها كاملة الإمام الحافظ ابن أبي عمر العدني (كما سيأتي) . والمقصود بـ(الإرجاء) فيها : لا الإرجاء المتعلق بالإيمان ، وإنما هو إرجاء أمر الطائفتين المقتتلتين في الفتنة إلى الله تعالى . كما هو ظاهر في الرسالة ، وكما نبه على ذلك الحافظ ابن حجر في ترجمته في التهذيب (٢/ ٣٢١) .

(٢) تحرف في المصدر إلى (الشبيبة) !! والتصويب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٨/ ١٢٠) .

(٣) كتاب الإيمان لابن أبي عمر العدني (١٤٨رقم٨٠) .

عَنْ عَمْرِو ابن الأَصَمِّ[1] : «قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا : إِنَّ هَذِهِ الشِّيعَةَ تَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ الله عَنْهُ مَبْعُوثٌ ؟! فَقَالَ : كَذَبُوا ، مَا أُولَئِكَ بِشِيعَةٍ ، لَوْ كَانَ مَبْعُوثًا مَا زَوَّجْنَا نِسَاءَهُ ، وَلَا قَسَّمْنَا مِيرَاثَهُ» .

---

(١) وعمرو بن الأصم ، هو عمرو بن عبدالله الـهَمْداني الوادعي الأصم ، وقيل عمرو بن عاصم الأصم (فيما رواه معمر بن راشد في جامعه - رقم ٢٠٣٥٧ - عن أبي إسحاق السبيعي عنه) . تابعي كوفي، روى عن : علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي ، وعبدالله بن مسعود ، ومعاوية بن أبي سفيان . وتفرد بالرواية عنه : أبو إسحاق السَّبيعي .

ترجم له ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٩٧) ، وقال عنه : «عمرو بن عبد الله الأصم الوادعي : من هَـمْدان ، روى عن علي وعبد الله ومسروق ، وكان قليل الحديث ، رحمه الله» ، ذكره الإمام مسلم في المنفردات والوحدان ضمن من تفرد عنهم أبو إسحاق (رقم٣٣٤) ، وترجم له الخطيب في المتفق والمفترق (٣/ ١٦٧٥رقم١٠٤٣) . وهو معدود في المخضرمين (ممن أدركوا الجاهلية والإسلام) ، كما في أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٢٤٩) ، والإصابة لابن حجر (٨/ ٢١٣) . ويؤيد كونه من المخضرمين: أن أحد مواليه مخضرم أيضًا ، وهو فيروز الوادعي مولاهم ، كما في الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١٢٦٦ رقم٢٠٨٦) .

وقد صح عنه أنه كان ممن خرجوا على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كما في طبقات ابن سعد (٣/ ٦٢) ، وأنساب الأشراف للبلاذري (٢٨/ ٤أ/ ٥٦٠رقم١٤٢١) وتاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١١٢٦) .

وذكره سيف بن عمر فيمن خرج على عثمان ، وأنه كان قائد الخارجين من الكوفة ، لكنه ذكر أيضًا أنه لما تبين لعمرو بن الأصم ولاثنين آخرين معه أن الصحابة لا يوافقونهم على قتل عثمان ، رجعوا ثلاثتهم دون بقية الخارجين من أهل الكوفة ، كما في كتاب الردة والفتوح لسيف بن عمر (١٦٢ ، ١٧٠) ، ونقله عنه الطبري في تاريخه (٤/ ٣٤٩) .

وقد صحح له الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٤) ، وهذا يقتضي توثيقه عنده .

أخرجه مُسَدَّد في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (رقم ٣٠٥٩) ، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٨-٣٧) ، والبلاذُرِي في أنساب الأشراف (٢٨/ ٢/ ١٣٦-١٣٧ رقم٣١٢-٣١٣) ، وأبو القاسم البغوي في حديث علي بن الجعد (رقم٢٥٣٥) ، والقَطِيعي في زوائد فضائل الصحابة للإمام أحمد (رقم ١١٢٨) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥٦٠) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٥) ، والشَّجَري في الأمالي الإثنينية – من مصادر الزيدية – (رقم٦٢٥-٦٢٦) [1] .

خامسا : نفيهم دعوى الوصية لهم بالإمامة :

وفي طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٩) وجزء محمد بن عاصم الثقفي (رقم٤١) ، بإسناد جيد : أن فُضَيل بن مرزوق سأل عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأخاه حسين بن علي [عَمَّيْ جعفر الصادق] ، فقال لهما : هل فيكم أهلَ البيت إنسانٌ مفترضةٌ

ومما قد يدل على مكانته وشرفه عيادةُ أبي إسحاق السَّبيعي له ، فقد جاء بإسناد صحيح عن شعبة عن أبي إسحاق ، قال : «دخلت على عمرو بن الأصم أعوده ..» ، فذكر تفسير السموم عن عبدالله بن مسعود . أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٦٤) .

وفي رجال الطوسي – من مصادر الشيعة الأصلية في تراجم رواتهم – (رقم٧٥٩) ، قال : «عمرو بن الأصم : كان أتى الحسن عليه السلام بالمدينة ، فذكر له ما قال أهل الغلو ، فأنكر عليه السلام عليهم».

فهو معروفٌ بخبره هذا في كتب الشيعة ، ووصفوا هم أنفسهم المقالةَ المسؤولَ عنها بأنها من مقالات أهل الغُلوّ .

(١) وقد وهم شريك بن عبدالله النخعي ، فرواه عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عاصم بن ضمرة : أنه هو من سأل الحسن رضي الله عنه . كما في زوائد عبدالله بن الإمام أحمد على المسند (رقم١٢٦٦) ، وكما في زوائده على فضائل الصحابة أيضًا (رقم١٢٢٦) . والصواب أنه من حديث أبي إسحاق عن عاصم الأصم ، هكذا رواه جمعٌ من الثقات عن أبي إسحاق .

طاعتُه ، تعرفون له ذلك ، ومن لم يعرف له ذلك فمات مات ميتة جاهلية ؟ فقالا : لا والله ، ما هذا فينا ! من قال هذا فينا فهو كذاب ! قال فقلت لعمر بن علي : رحمك الله : إن هذه منزلة تزعمون أنها كانت لعلي أن النبي صلى الله عليه و سلم أوصى إليه ، ثم كانت للحسن أن عليا أوصى إليه ، ثم كانت للحسين أن الحسن أوصى إليه ، ثم كانت لعلي بن الحسين أن الحسين أوصى إليه ، ثم كانت لمحمد بن علي أن عليا أوصى إليه ؟ فقال : والله لمات أبي فما أوصى بحرفين ، قاتلهم الله ! والله إن هؤلاء إلا متأكِّلُون بنا ... والله لفكّرت على فراشي طويلا ، أتعجب من قوم لبس الله عقولهم حين أضلهم المعلى بن خنيس[1] » .

وللإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الشهير بالقاسم الرَّسِّي (ت٢٤٦هـ) رسالتان طويلتان في الرد على طوائف الغلاة من الشيعة ، تكلم فيها عن عقيدة الأوصياء عند غلاة الشيعة ، وعن دعوى حياة علي رضي الله عنه وأنه لم يمت ، وغيرها من مقالات الغلاة ، وردها أشد الردّ[2] .

ومما جاء فيها قوله (عليه رحمة الله) : « افترق من ادّعى التشيُّعَ على ثلاثة عشر صنفا ، منهم اثنا عشر في النار ، وهم الروافض.

---

(١) المعلى بن خُنيس : مترجم في لسان الميزان (٨/ ١١١رقم ٧٨٤٣) ، بما جاء في هذا الخبر . وهو مترجم في اختيار معرفة الرجال للكشي للطوسي (رقم٧٠٢) ، وفي نقد الرجال ، للتفرشي . تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ المطبعة : ستارة – قم . مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم : (٤/ ٣٩٥رقم٥٣٥١) ، وزبدة المقال للسيد بسام مرتضى – دار المحجة البيضاء – (٢/ ٤٥٧-٤٥٦) : وفيها نُقل الاختلاف فيه عند الشيعة ، فبينما هو موصوف عند بعضهم بأنه : « ضعيف جدا لا يعول عليه» ، يصفه آخرون بالعدالة .

(٢) الرسالتان مطبوعتان ضمن : مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي . تحقيق : عبدالكريم أحمد جدبان . دار الحكمة اليمانية : صنعاء . الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ . (١/ ٥٨٠-٥٣١) .

١ - صنف من الروافض يقال لهم: السحابية، وهم يزعمون أن عليا حي لم يمت [ولا يموت] ، حتى يسوق العرب والعجم بعصاه، وهم يزعمون أن عليا في السحاب.

٢- وصنف آخر يقال لهم الكيسانية : وهم أصحاب محمد بن الحنفية، ويزعمون أنه لم يمت ولا يموت حتى يملأها عدلا كما ملئت جورا.

٣- وصنف آخر يقال لهم: الرَّوَندية.

٤ - (وصنف آخر يقال لهم : الموصية)، قادوا الوصية إلى جعفر بن محمد، وزعموا أن الوصية انتهت إليه ، وهم الروافض.

وافترقوا من عند جعفر، وزعموا أن الوصية وراثة يرث ابن عن أب.

٥- ثم افترقت منهم طائفة يزعمون أن جعفرًا أوصى إلى ابنه إسماعيل، وإسماعيل مات قبل جعفر، وزعموا أنه لم يمت، وذلك الذي دفنه جعفر جذع نخلة، وغيَّبه جعفر تقية عليه، وقادوا الوصية إلى ولده، وهم يقال لهم: المباركية، يصومون قبل رمضان بيومين، ويفطرون قبل الفطر بيومين، ويزعمون أن الشهر من غيبوبة الهلال إلى غيبوبته... (إلى أن قال :) :

وكل من قال بجعفر من الروافض : يزعم أن الإمام يُخلق عالما، وطبعه العلم ، والعلم مطبوع فيه . ويزعمون أن الإمام يعلم الغيب ، ويعلم ما في تخوم الأرضين السابعة السفلى ، وما في السماوات السابعة العليا ، وما في البر والبحر ، والليل والنهار عنده مجرى واحدا.

فسبحان الله!! وما هذه إلا صفات رب العالمين !!

فكيف يُخلقون علماء، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يُخلق عالما، ولم يكن طبعه العلم، ولم يعلم إلا بعد تَعلُّم ، ولم يَعرف حتى عُرِّف! وكيف وقد حدَّث بعض أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله عن آبائه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

((أنا عبد مخلوق مربوب لم أكن نبيئا فنبئت ، ولم أكن رسولا فأرسلت ، ولم أكن عالما فعُلِّمت ، فلا تقولوا فيَّ فوق طولي)) .

وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ الضحى: ٧ . فسماه ضالا ثم هداه، ولم تكن ضلالة رسول الله صلى الله عليه وآله ضلالة شرك، ولا كضلالة قريش، ولا كضلالة اليهود والنصارى، غير أنه كان ضالا عن الشرائع، أي جاهلا بالشرائع ، حتى بصَّره الله وهداه وعرَّفه، ولم يجهل رسول الله صلى الله عليه وآله ربَّ العالمين .

أما بلغك قول الله سبحانه لنبيئه ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا ﴾ طه: ١١٤ ؟! وهل تكون الزيادة إلا من نقصان، فما لم يكن لرسول الله صلى الله عليه، فلا يكون لأحد من خلق الله. وكل عالم بعد جهل يُعلَّم، ولابد أن يقع اسم الجهل على كل خلقه، كيلا يُشَبَّه أحدٌ من خلقه به ؛ لأن الله لم يجهل ولم يتعلم. ولم يزل عالما، وكل خلقه بعد جهل تعلموا، والله سبحانه لم يجهل ولم يتعلم.

ولو كان على ما قالت الروافض بأن الأئمة علماء غير متعلمين، ولا يجوز الجهل في وقت من الأوقات على أحد من الأئمة، فسبحان الله ! أفليس قد شبهتموه برب العالمين، إذ لم يجهل صاحبكم ولم يتعلم، أو ليس قد شبهتموه بالله بقولكم، إذ زعمتم أنه يعلم الغيب، ويعلم أعمال العباد (ومواضعهم، وكل رجل باسمه ونسبه، ويعلم ما تلفظونه، ويعلم ما في قلوب العباد)، فسبحان الله عما يقولون ! وهل هذه إلا صفة رب العالمين ؟!

وتأولوا قول الله سبحانه في كتابه ـ لقوله ـ ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٢٥] ، فيزعمون أن الله ورسوله والأئمة يرون أعمال العباد، فسبحان الله ! كيف يرى ما غاب عنه، وإنما قال الله سبحانه ﴿ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ، إنما عنى تبارك وتعالى أي: فسيرى المؤمنون والأنبياء في الآخرة أعمالكم إذا ظهر الغيب، وانكشف الستر، وكان فريق في الجنة، وفريق في السعير، واستبان للخلق المطيعُ من العاصي، والكافر من المؤمن، والصالح من الطالح، فكم من مستور عليه يُجَرُّ إلى عذاب

أليم، وكان عند الناس على خلاف ذلك في دار الدنيا...(إلى آخر ردوده على مقالات كثيرة من الغلو) »[1] .

سادسًا : نفيهم ما لا يصح لهم من الفضائل :

في الضعفاء للعقيلي (٥/ ٣٤) عن بسام الصيرفي قال قلت لجعفر إن ناسا يزعمون أن عليا قَسيمُ النار ؟ فقال : أنا أكفر بهذا .

(١) مجموع كتب ورسائل القاسم الرسي (١/ ٥٤٢-٥٣٣) .

الإنصاف من النفس بتفضيل غيرها عليها

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ عُمَرُ . وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِن المسلِمِينَ»

أخرجه البخاري (رقم٣٦٧١) وأبو داود (رقم٤٦٢٩) .

وقال بن عباس رضي الله عنه وُضع عمر بن الخطاب على سريره ، فتكنّفه الناسُ ، يَدعون ويُثنون ويصلون عليه ، قبل أن يُرفع ، وأنا فيهم . قال فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي ، فالتفتُّ إليه ، فإذا هو علي . فترحم على عمر ، وقال : ما خَلَّفتَ أحدًا أحبَّ اليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ؛ وذاك أني كنت أُكثر أسمعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جئت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر . فإن كنتُ لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما» .

أخرجه البخاري (رقم٣٦٧٧ ، ٣٦٨٥) ، ومسلم (رقم٢٣٨٩) .

وصحَّ عن سفيان بن عيينة ، عن جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، «أن عليًّا رضي الله عنه دخل على عمر وهو مُسَجًّى ، فقال : صلى الله عليك ! ثم قال : ما من الناس أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجَّى» . فقال سفيان بن عيينة : «فقلت لجعفر : أليس يقال : لا يُصَلَّى إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ؟! فقال : هكذا سمعنا ، أو : جاء في الحديث»[١] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٤٣) ، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٤٥) ، والعقيلي في الضعفاء – ترجمة : سدير الصيرفي – (٣/ ٤٦-٤٥رقم ٢٤٧٧) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٩٣-٩٤) ، وأبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة (٢٨) ، وغيرهم . وأما سؤال سفيان

للصادق فذكره الدارقطني في العلل (٣/ ٩٠رقم٢٩٧) . ونبه الدارقطني على انفراد سفيان بذكر لفظ الصلاة على عمر ﵁ . وهو يقصد أن سفيان بن عيينة هو الثقة الذي انفرد بها ، وإلا فقد تابعه الحارث بن عمران الجعفري عن جعفر الصادق به متصلا ، وذكر فيه قول علي ﵁ : «صلى الله عليك يا عمر» ، أخرجه أبو الفضل الزهري في حديثه (رقم٢٩٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٤٥٣) ، لكن الحارث بن عمران شديد الضعف متهم بالكذب ، كما تراه في تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ١٥٢) . إلا أن متابعته تنفع عند الشيعة ، فالحارث بن عمران الجعفري عندهم ثقة ، فقد وثقه النجاشي في رجاله (رقم٣٦٢) ، ولم يخالفه أحد في توثيقه ، كما يظهر من اعتماد الحِلِّي (ت٧٢٦هـ) عليه في كتابه خلاصة الأقوال في معرفة الرجال – المعروف : بـ(رجال الحِلِّي) – (٥٥) ، والوجيزة في علم الرجال للمجلسي صاحب بحار الأنوار (ت١١١١هـ) – المعروف بـ(رجال المجلسي)– (١٨١) ، وزبدة المقال للسيد بسام مرتضى (١/ ٢٧٠) .

ويبدو أن الإمامين أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه كانا يُصحّحان هذا الحديث بلفظ الصلاة على عُمر (رضي الله عنه) الوارد فيه ؛ فقد قال الكوسج في مسائله للإمامين (رقم ٣٣١٦) : « قلتُ : أيُصَلِّي أحدٌ على أحدٍ ؟ فقال [يعني الإمام أحمد] : أليس قال علي (عليه السلام) لعمر (رضي الله عنه) ؟!

قال إسحاق [يعني : ابن راهويه] : كما قال » .

فهنا يستدل هذان الإمامان بدعاء علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لعمر (رضي الله عنه) بلفظ الصلاة على أن ذلك جائز .

وللخبر وجوه كثيرة ، وفيه اختلاف استوعبه الدارقطني في العلل (المصدر السابق) ، وهو من صحيح حديث جعفر الصادق عن آبائه ، ورواية سفيان بن عيينة مع وقوع خلافه عليها في وصلها ، فهي من أقوى طرق الخبر ، وقرائن ثبوته عديدة . وقد تعقبه أبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة (٢٧–٢٨) بقوله : « هذا حديث وإن أرسله أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، يُعَدُّ من صحاح حديث عليٍّ ﵁ وجيادِه ، رواه عنه عبد الله بن العباس فجوّده ... (ثم أورد روايته كالتي عند البخاري السابقة ، ثم قال :) وله من حديث محمد بن علي أصل ، فإن جعفرا رواه عن جابر ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه» .

تَـوَلِّـي الشيخين والصحابة

رضي الله عنهم أجمعين

فمن ذلك ما صح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «ما نُبعدُ أن السكينة تنطق على لسان عمر» .

أخرجه عبدالرزاق في المصنف (رقم ٢٠٣٨٠) ، وابن أبي شيبة (رقم ٣٢٦٣٧) ، والضياء في المختارة (رقم٥٤٩-٥٥٠) ، وله طرق تدل على ثبوته ، فانظرها في علل الدارقطني (٤/ ١٣٩-١٣٦رقم٤٧١) .

وقال زيد بن علي يقول : «البراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : البراءة من علي رضي الله عنه» .

أخرجه العُشاري في فضائل الصديق (رقم٥٠) ، والدارقطني في فضائل الصحابة ومناقبهم (رقم ٥٠) ، بإسناد حسن .

وفي فضائل الصحابة ومناقبهم للدارقطني رقم (٥٧) بإسناد حسن ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية ، أنه قال : «يا أهل الكوفة ، اتقوا الله ، ولا تقولوا في أبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل . إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثاني اثنين ، وإن عمر أعزَّ الله به الدين» .

وفي فضائل الصحابة ومناقبهم للدارقطني رقم (٥٩ ، ٦١) بإسناد حسن : «أن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سُئل عن أبي بكر وعمر ، فقال : صلى الله عليهما ، ولا صلى على من لا يصلي عليهما» .

وفي فضائل الصحابة ومناقبهم للدارقطني رقم (رقم ٦٢) بإسناد حسن عن عبد الله بن الحسن ، قال : «ما أرى رجلا يسب أبا بكر وعمر ثبتت له توبة أبدا» .

وفي السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (رقم ١٣٠٢) وأمالي المحاملي (رقم ٢٣٥) ، فضائل الصحابة ومناقبهم للدارقطني (رقم٦٩) بإسناد صحيح ، عن جعفر بن محمد يقول : «برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر» .

وفي فضائل الصحابة للإمام أحمد (رقم ١٧٦) ، والشريعة للآجري (رقم١٧٠٨) ، وفضائل الصحابة للدارقطني (رقم ٣٢-٣٣) ، بإسناد حسن : عن سالم بن أبي حفصة[١] : قال : «سألت أبا جعفر وجعفرا عن أبي بكر وعمر ؟ فقالا لي : يا سالم ، تَوَلَّهما ، وابرأ من عدوهما ؛ فإنهما كانا أمامَي هُدَى . قال : وقال لي جعفر : يا سالم ، أبو بكر جدي ، أيسب الرجل جده ؟! قال : وقال : لا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما» .

وصحَّ عن الإمام يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ) : أنه سمع جعفرًا الصادق ذكر أبا بكر رضي الله عنه ، فأثنى عليه ، وقال : «ولدني مرتين»[٢] .

يعني : أن أُمّه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأمها هي بنت عبدالرحمن بن أبي بكر .

وفي كتاب الإرجاء للحسن بن محمد بن الحنفية : «ونرضى من أئمتنا بأبي بكر وعمر ، ونرضى أن يُطاعا ، ونسخط أن يُعصيا ، ونعادي لهما من عاداهما»[٣] .

---

(١) هذا وسالم بن أبي حفصة كان من غلاة الشيعة ، وكان يقول عنه الراوي عنه خلف بن حوشب : «وكان من رؤوس من ينتقص أبا بكر وعمر» ، مع صدقه وضبطه ، كما تراه في التهذيب لابن حجر (٣/ ٤٣٣-٤٣٤) .

(٢) أخرجه مسدّد في مسنده عن القطان .. به ، كما في المطالب العالية لابن حجر (رقم ٣٨٨٥) ، ومن طريق مسدد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٤٥٤-٤٥٣) .

(٣) الإيمان لابن أبي عمر العدني (١٤٨رقم٨٠) .

ونقل الإمام المؤيَّد يحيى بن حمزة العلوي الحسيني (ت٧٤٥هـ) جزءا من كلام آل البيت في تَولِّي الصحابة رضي الله عنهم ، وفي محبة آل البيت وتعظيمهم لهم ، ثم قال مبينا الغرض من ذكره تلك النُّقول : «الغرض الأول : أن يُعلم أن أمير المؤمنين وأولاده من أهل البيت السابقين منهم والمقتصدين : غير قائلين لأحد من الصحابة بكفر ولا فسق ، مع مخالفتهم لهذه النصوص القاطعة[١] ، وأن مخالفتهم لا تقطع موالاتهم ولا يبطلها ... (إلى أن قال :) فحصل من هذه الروايات التي نقلناها عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين وعن أولاده السابقين : التولّي والمحبّة للصحابة رضي الله عنهم ، وأن أحدًا من أهل البيت لم يُنقل عنه تكفيرٌ ولا تفسيقٌ لهما . وهذا هو الأوثق من حال الأئمة السابقين ، أهل الآراء الصائبة والأديان الثاقبة»[٢] .

(١) يعني بالنصوص القاطعة حسب وجهة نظره : نصوصَ إمامةِ علي رضي الله عنه ، وأنه أَولى من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالخلافة ، كما بيّنَ ذلك في موطن آخر (١٥٤-١٥٣) .

(٢) عقد اللآلي في الرد على أبي حامد الغزالي . تحقيق : إمام حنفي سيد عبد الله . الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ . دار الآفاق العربية : القاهرة . (١٤٦-١٣١) .

الأمر بالاعتدال في الحب وذم الغلو فيه

يقول علي رضي الله عنه : « يهلك فيّ رجلان : مفرطٌ في حبي ، ومفرط في بغضي» .

أخرجه الإمام أحمد في المسند (رقم ١٣٧٦) ، وفي فضائل الصحابة ، وابنه عبدالله وتلميذه القطيعي في زوائدهما عليه (رقم٩٥١ ، ٩٦٤ ، ١٠٨٧ ، ١٠٤٧ ، ١٢٢١) ، وابن أبي شيبة في المصنف (رقم ٣٢٧٩٧ ، ٣٢٧٩٩) ، وأحمد بن منيع في مسنده (المطالب العالية لابن حجر رقم ٣٩٤٠) ، وعبدالله بن أحمد في السنة (رقم ١٣٣٩) ، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٠١٧-١٠٢١ ، ١٠٣٩) ، والنسائي في الكبرى (رقم٨٤٣٤) ، والبلاذري في أنساب الأشراف (٢٨/ ٢/ ١٢٢-١٢٠رقم٢٥٢ ، ٢٥٦) ، وابن عسكر في تاريخ دمشق – مجلد ترجمة علي بن أبي طالب- (٢٧٣-٢٦٨) ،

وهو في نهج البلاغة (٤/ ١٠٨) ، وعند الطوسي في أماليه – تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة .الطبعة الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٤هـ ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم (رقم٤٦٢) .

وصح عن علي رضي الله عنه أنه قال على منبر البصرة : «ليحبني أقوام حتى يدخلهم حبي النار، وليبغضني أقوام حتى يدخلهم بغضي النار» .

أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٨/ ٢/ ١٢١رقم٢٥٥) ، وابن الأعرابي في معجمه (رقم١٥٤١-١٥٤٢) ، والآجري في الشريعة (رقم١٩٦٤) .

وصح في طبقات ابن سعد (٧/ ٢١٢) أن زين العابدين علي بن حسين كان يقول : «يا أيها الناس : أحبونا حبَّ الإسلام ، فما برح بنا حبُّكم حتى صار علينا عارًا» .

ذكر فضائل المخالفين

عن زِرِّ بن حُبَيْشٍ : أن عليًّا رضي الله عنه قيل له : إن قاتل الزبير على الباب ، فقال علي ﵁ : ليدخلن قاتلُ ابنِ صفيةَ النارَ ، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : لكل نبي حواريّ ، وإن حواريّي : الزبير بن العوّام» .

أخرجه الإمام أحمد في المسند (رقم٦٨٠ ، ٧٩٩ ، ٨١٣) ، والترمذي مقتصرا على المرفوع (رقم٤٠٧٧) وصححه .

وصحَّ أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يوم صفين يقول : اللهم العن أهل الشام ! فقال علي : «لا تسب أهل الشام ، جمًّا غفيرا ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال» .

أخرجه ابن المبارك في الجهاد (رقم ١٩٢) ، وعبدالرزاق (رقم ٢٠٤٥٥) ، و الإمام أحمد فضائل الصحابة (رقم١٧٢٦) ، وابن أبي الدنيا في الأولياء(رقم ٧٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٢) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٤٩) ، والضياء في المختارة (رقم ٤٨٥) .

النهي عن شتم المخالفين بما ليس فيهم

ومثاله ما سبق آنفا : أن عليا رضي الله عنه سمع رجلا يوم صفين يقول : اللهم العن أهل الشام ! فنهاه قال علي (رضي الله عنه) قائلا له : «لا تسبَّ أهل الشام ، جمًّا غفيرا ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال» .

وصح عن عبد الله بن عُروَةَ ، قال أخبرني رَجلٌ شَهدَ صفِّينَ ، قال : رَأَيت عَليًّا خرَجَ في بَعضِ تلْكَ اللَّيَالي ، فنَظَرَ إلى أَهلِ الشّامِ ، فقال : «اللَّهمَّ اغْفرْ لي وَلهَمْ» .

أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٥٧١) ، بإسناد صحيح إلى عبدالله بن عروة بن الزبير ، وهو ثقة ثبت فاضل ، عن هذا الرجل المبهم .

وفي نهج البلاغة (٢/ ١٨٦-١٨٥) : «من كلام له عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام ، أيام حربهم بصفين : إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أَصْوَب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم إياهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يَعرف الحقَّ من جهله ، ويرعوى عن الغي والعدوان من لهج به» .

وفي نهج البلاغة (٤/ ٦٣) ، وشرح نهج البلاغة (١٩/ ١٤٧) ، وأمالي الطوسي (١٣٤رقم ٢١٦) : «وقيل : إن الحارث بن حوط أتاه عليه السلام ، فقال له : أتراني أظن أن اصحاب الجمل كانوا على ضلاله ؟ فقال عليه السلام : يا حار ، إنك نظرت تحتك ، ولم تنظر فوقك فحرت ، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله ، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه .

فقال الحارث : فإنى أعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر .

فقال عليه السلام : إن سعدا وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق ، ولم يخذلا الباطل» .

وعن غالب بن الهذيل[1] قال سألت أبا جعفر عن أصحاب الجمل ؟ فقال : «مؤمنون ، أو قال ليسوا كفارا» .

أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (رقم٦٠١-٦٠٣) .

وكان العلامة الشريف أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلوي الحسني الشجري الكوفي (ت ٤٤٥هـ) ، صاحب التصانيف : لا يذكر أبا بكر وعمر إلا بخير ، وكان يمنع أهل الكوفة عن الشَّتمة ، ويملي حديث عائشة رضي الله عنها ، وكان قوم من أهل الكوفة يسبونهم ، فيمنعهم أشد المنع[2] .

هذا وهو في الكوفة ، وبين مؤيديه من الشيعة ، لا يخاف ولا يتّقي أحدا .

---

(١) تحرف في المصدر إلى ثابت بن أبي الهذيل ، و الصواب أنه غالب بن الهذيل أبو الهذيل قال عنه الحافظ في التقريب رقم ٥٣٥٠: «صدوق رمي بالرفض» .

وهو مترجم في رجال الطوسي (رقم٣٨٣٨) ، وفي معجم رجال الحديث للسيد الخوئي . الطبعة : الخامسة : ١٤١٣ - ١٩٩٢ م (١٤/٢٣٨رقم ٩٢٧٣) ، فيمن روى عن الباقر وعن الصادق ، موصوف بأنه كان شاعرا .

(٢) مشيخة المحدثين البغدادية لأبي طاهر السلفي (رقم ٤٨٠) .

عدم محاباة الموالين

في طبقات ابن سعد بإسناد صحيح (٧/ ٢١١) : إلى عيسى بن دينار المؤذن قال : سألت أبا جعفر عن المختار ؟ فقال : إن علي بن حسين قام على باب الكعبة ، فلعن المختار . فقال له رجل : جعلني الله فداك ! تلعنه وإنما ذُبح فيكم ؟! فقال : إنه كان كذابا ، يكذب على الله وعلى رسوله .

الإنصاف والدقة في حكاية النزاع

وبإسناد صحيح في سنن سعيد بن منصور (رقم ٢٩٧٠) قال عمرو بن دينار : «سألت الحسن بن محمد (وما رأيت أحدا كان أعلم باختلاف الناس منه) ، قلت : بايع طلحة والزبير عليا ؟ قال : صعدا إلى علي في مَشْرُبةٍ له ، فلما نزلا ، قال الناس : بايعا .. بايعا» .

فهو يعلم الدعاوى القائلة بأن طلحة والزبير رضي الله عنهما لم يبايعا عليا رضي الله عنه ، أو التي تدّعي مبايعتهما مكرهَينِ ، مع ذلك يروي ما حدث بكل تجرّد وإنصاف ، بغير قطع لهما بالمبايعة أو عدمها . لكنه يحكي ما فهمه الناس من صعودهما إلى عُلِّيّةِ عليٍّ رضي الله عنه من أجل البيعة وفي شأنها ، وأنهما لما نزلا ، فَهِمَ الناسُ أنهما قد بايعاه .

عدم تكفير من كفَّروهم وقاتلوهم كالخوارج

فعنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : «كُنْتُ عِنْدَ عَلِي ، فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ النَّهَرِ : أَمُشْرِكُونَ هم ؟ قَالَ : مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا ، قِيلَ : فَمُنَافِقُونَ هُمْ ؟ قَالَ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَذْكُرُونَ اللهَّ إِلاَّ قَلِيلاً ، قِيلَ لَهُ : فَمَا هُمْ ، قَالَ : قَوْمٌ بَغَوْا علينا ، فنُصرنا عليهم .

أخرجه ابن أبي شيبة (رقم٣٩٠٩٧) ، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (رقم٥٩١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٨٢) ، بإسناد صحيح .

وروايات أنهم لم يقاتلهم حتى استباحوا الدماء في مصنف عبدالرزاق (رقم١٨٥٧٤ ، ١٨٥٧٧ ، ١٨٥٧٨) .

إعطاء الحقوق الإسلامية موفورة لأغلظ المخالفين وأشدهم وهم الخوارج المكفِّرة

عَنْ كَثِيرِ بْنِ نَمِرٍ[1] قَالَ : بَيْنَا أَنَا فِي الجُمُعَةِ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ إِذْ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ ثُمَّ قَامُوا مِنْ نَوَاحِي المَسْجِدِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِيَدِهِ اجْلِسُوا نَعَمْ لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ كَلِمَةُ يُبْتَغَى بِهَا بَاطِلٌ حُكْمَ اللهِ نَنْتَظِرُ فِيكُمْ أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عِنْدِي ثَلاَثَ خِصَالٍ مَا كُنْتُمْ مَعَنَا لاَ نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ تَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَ اللهِ وَلاَ نَمْنَعُكُمْ فَيْئًا مَا كَانَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا وَلاَ نُقَاتِلُكُمْ حَتَّى تُقَاتِلُوا ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ.

أخرجه ابن أبي شيبة (رقم ٣٩٠٨٥) ، والطبراني في الأوسط رقم ٧٧٧١ ، والبيهقي (٨/ ١٨٤) .

وأخرجه الطبري في تاريخه (٥/ ٧٤) من حديث ليث بن أبي سليم عن بعض أصحابه .. بنحوه .

وأخرجه البلاذري من حديث الأعمش وغيره (٢٨/ ٢/ ٣١٧رقم٦٧١) .

وقصة امتناعه من قتالهم حتى رفضوا تسليم قاتل عبدالله بن خباب :

في كتاب الأموال لأبي عبيد (رقم ٤٨٩) ، والمصنف لابن أبي شيبة (رقم ٣٩٠٤٨) ، قالا «حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ ، قَالَ : نَهَى عَلِيٌّ أَصْحَابَهُ أَنْ يَبْسُطُوا عَلَى الخَوَارِجِ حَتَّى يُحْدِثُوا حَدَثًا ، فَمَرُّوا بِعَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ

---

(١) كثير بن نمر : ترجم له البخاري (٧/ ٢٠٧) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ١٥٧) ، وابن حبان في الثقات (٥/ ٣٣١) ، وابن ماكولا في الإكمال (٧/ ٣٦٤) . روى عنه ثقتان (سلمة بن كهيل، وأجلح بن عبد الله بن حُجيّة) ، مع ثبوت سماعه من علي ، وعُلو طبقته . ومتابعة الرواة له في كل ما روى في هذا الخبر ، من وجوه عدة ، كما سيأتي في الأصل = مما يجعل قبول خبره هو الأرجح .

فَأَخَذُوهُ ، فَمَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى تمَرْةٍ سَاقِطَةٍ مِنْ نَخْلَةٍ فَأَخَذَهَا فَأَلْقَاهَا فِي فِيهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : تمَرْةُ مُعَاهَدٍ ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتها فَأَلْقَاهَا مِنْ فِيهِ ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى خِنْزِيرٍ فَنَفَحَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : خِنْزِيرُ مُعَاهَدٍ ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْته ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكُمْ حُرْمَةً مِنْ هَذَا ، قَالُوا : نعَمْ ، قَالَ : أَنَا ، فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقه ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ أَنْ أَقِيدُونَا بِعَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ : وَكَيْفَ نُقِيدُك وَكُلُّنَا قَتَلَهُ ، قَالَ : أَوَكُلُّكُمْ قَتَلَهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يبْسُطُوا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : وَاللهِ لاَ يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ وَلاَ يَفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ ، قَالَ : فَقَتَلُوهُمْ ، فَقَالَ : اطْلُبُوا فِيهِمْ ذَا الثُّدَيّةِ ، فَطَلَبُوهُ فَأُتِيَ بِهِ ، فَقَالَ : مَنْ يَعْرِفُهُ ، فَلَمْ يجِدُوا أَحَدًا يَعْرِفُهُ إِلاَّ رَجُلاً ، قَالَ : أَنَا رَأَيْته بِالحِيرة ، فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ، قَالَ : هَذِهِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَمَالِي بِهَا مَعْرِفَةٌ ، قَالَ : فَقَالَ عَلِيٌّ : صَدَقَ هُوَ مِنَ الجْانِّ».

وأخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٨/ ٢/ ٣٢٥رقم٦٧٨) ، والدارقطني في السنن (رقم ٣٢٥٠) .

قال أبو عبيد (١/ ٢٨٢) : أفلا ترى أن عليا عليه السلام لم يستجز قتال عوامهم بما أحدثت الخاصة ، حتى انتحلوه جميعا ، وتواطئوا عليه ؟ فكذلك أمر النكث

والقصة أخرجها الإمام أحمد (رقم ٢١٠٦٣) ، والدارقطني (رقم ٣٢٥١) .

وفي كتاب (الجامع الكافي في فقه الزيدية) لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن العلوي (ت٤٤٥هـ)[١] ، وهو يتحدث عن وجوه القتال المشروع : «الوجه الرابع : جهاد أهل البغي الموحدين من الخوارج وغيرهم ، حتى يعطوا إحدى خلتين ، فأيهما أعطوا ، حرم بها قتالهم ودماؤهم وأموالهم

- أن يدخلوا في السلم مع إمام العدل، ويكونوا له أنصارًا وأعوانًا ، يجري عليهم

---

(١) المؤلف من العلماء الثقات حتى عند أهل السنة ، رغم كونه زيديًّا ، فقد أثنى عليه الإمام الذهبي فقال : « الإمام، المحدث، الثقة، العالم، الفقيه، مسند الكوفة، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، الكوفي» . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٣٦) .

حكمه.

- أو أن يكفّوا عن محاربة أهل العدل ، ويكونوا لهم سِلْمًا ، وإن أقاموا على ضلالهم وانتحالهم عداوة أهل العدل ، ما لم يمتنعوا من أحكام أهل العدل .

وكذلك قال أمير المؤمنين -صلى الله عليه- للخوارج : "لا نمنعكم ثلاثاً ، ما كانت فيكم ثلاث، لا نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نبدأكم بقتال حتى تبدؤونا، ولا نمنعكم فيئكم ما كانت أيديكم مع أيدينا" . وقد علم أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- عداوتهم له وبرؤهم منه، والخلاف منهم عليه، وأظهروا له ذلك بألسنتهم . فأوجب لهم أن يقسم فيهم الفيء كما يقسمه على غيرهم مع أهل ولايته، ومن هو مسلم لحكمه ، إذا كانت أيديهم وأيدي أهل ولايته، وهم كغيرهم من المسلمين فيما يجب لهم، وعليهم في جميع الحقوق والأحكام والقصاص والدماء والجراحات وغير ذلك . ولم يبلغنا أن عليًّا -صلى الله عليه- استثناهم في قتالهم ، قبل أن ينصبوا له حربًا . فإذا نصبوا لإمام العدل حربًا ، وكانوا بدار تَبَوّؤُوها لحربهم : كانت دار ضلال ، يجب بذلك على أهل العدل محاربتهم ، بعد أن يدعوهم إلى الله عز وجل ، فإن أبوا إلا المحاربة : حاربهم»[١] .

---

(١) الجامع الكافي للعلوي – تحقيق : عبد الله بن حمود العزي . الطبعة الأولى : ١٤٣٥هـ . دار المصطفى : صعدة – (٨/ ٢٢١- ٢٢٢) .

عدم تكفير من قاتله في الجمل وصفين

وهذا ثابت من شأن علي (رضي الله عنه) ، من وجوه كثيرة تبلغ حد القطع واليقين بأنه عاملهم معاملة المؤمنين[١] . بل ثبت أنه قال عن أهل الجمل : «إخواننا بَغَوْا علينا فقاتلناهم ، وقد فاؤوا ، وقد قَبِلْنا منهم»[٢] .

وفي أحد كتب الشيعة : كتاب (قرب الإسناد) لعبد الله بن جعفر الحميري (من علماء الشيعة الإمامية في القرن الثالث)[٣] أنه حدثه هارون بن مسلم[٤] عن مسعدة بن زياد[٥] عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر محمد بن علي بن الحسين عن جده علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : «أنه كان يقول لأهل حربه : إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم ، ولم نقاتلهم على التكفير لنا ، ولكنا رأينا أنا على الحق ، ورأوا أنهم على الحق»[٦] .

وهذا إسنادٌ صحيح عند الشيعة ، فقد وثقوا رجاله كلهم .

وبالإسناد نفسه عند الحميري : عن جعفر الصادق ، عن أبيه الباقر : أنّ عليًّا (رضي الله

(١) سيأتي بعضها في هذا البحث .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى – تحقيق : د/ التركي– (رقم ١٦٨٣٢) ، بإسناد حسن ، وله وجه آخر يشهد له عند ابن أبي شيبة في المصنف (رقم٣٨٩١٨) ، والبيهقي في السنن (رقم١٦٧٩١) .

(٣) الحميري مؤلف الكتاب ثقة عند الشيعة ، كما تجده في مقدمة التحقيق – الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث : بيروت– (١٠ – ٢٨) .

(٤) وثقه النجاشي والحلي والمجلسي ومن جاء بعدهم : انظر رجال النجاشي (٢/ ٤٠٥– ٤٠٦ رقم١١٨١) ، ورجال الحلي (١٨٠) ، ورجال المجلسي (رقم ٢٠٢٤) .

(٥) وثقه النجاشي والحلي والمجلسي ومن بعدهم : انظر رجال النجاشي (٢/ ٢/ ٣٥٨رقم١١١٠) ، ورجال الحلي (١٧٣) ، ورجال المجلسي (رقم١٨٥٩) .

(٦) قرب الإسناد للحميري – الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ . مؤسسة آل البيت لإحياء التراث : بيروت– (٩٢ رقم ٣١٣) .

عنه) لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ، ولكنه كان يقول : هم إخواننا بغوا علينا»[1].

ولما نقله الحر العاملي لم يعجبه ، فقال عقبه : «أقول : هذا محمول على التقية»[2]. وهذا بعيد ؛ لأن عليا (رضي الله عنه) لم يكن يتقي وهو يحارب خصومه ، والتقوّل عليه لا يقع من الباقر وابنه الصادق (رضي الله عنهما) ؛ ولأن الصادق يرويه لأحد تلامذته الثقات لينقلوا عنه مذهبه ومذهب آبائه ، ولم يقع له ذلك في حضرة ناصبي أو مخالف .

وهذا ما أكده كتاب (الجامع الكافي في فقه الزيدية) لأبي عبد الله العلوي (ت٤٥٠هـ)، حيث عقد بابا طويلا عن قتال أهل البغي ، وذكر من سيرة علي (رضي الله عنه) أنه تعامل مع من قاتلوه من أهل الجمل وصفين معاملة المسلمين البغاة[3] .

---

(١) قرب الإسناد للحميري – الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ . مؤسسة آل البيت لإحياء التراث : بيرت– (٩٤ رقم ٣١٨) .

(٢) وسائل الشيعة لمحمد بن الحسن الحر العاملي – مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم . (١٥/ ٨٢– ٨٣) .

(٣) الجامع الكافي (٨/ ٢٨٢– ٢٨٨، ٢٩٥– ٣٠٠) .

تحكيم شرع الله في مخالفيهم

ولا شك أن تحكيم الشرع في المخالفين هو قمة الإنصاف !

وقد كان علي رضي الله عنه مضرب المثل في العدل مع مخالفيه ، مع تقدمه في الفقه في الدين بين كبار الصحابة رضوان الله عليهم ، حتى كانت سيرته في مخالفيه ممن بغى عليه (مع مأساتها وعظيم بلائها) معينًا فقهيًّا لكبار الأئمة ، لا يجدون أجلَّ منه في بيان أحكام البغاة من أهل القبلة ، ولا يجدون خيرا من الرجوع إلى منهجه معهم لاستنباط أحكام هذا الباب العويص !

حتى لقد صحَّ عن الإمام أبي حنيفة أنه قال : «لولا ما سار به عليٌّ رضي الله عنه في قتال أهل القبلة ، ما علم أحدٌ كيف المسير فيهم»[١] .

وبعد أن أورد الحافظ ابن العديم (ت٦٦٠هـ) سيرة علي رضي الله عنه مع أهل صفين ، ختمها بقوله : « قلت : وهذا كله حكم أهل البغي ، ولهذا قال أبو حنيفة : لولا ما سار عليٌّ فيهم ، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين»[٢] .

وأورد الإمام الشافعي في (الأم) خبر علي (رضي الله عنه) أنه أُتي يوم صفين بأسير فقال له الأسير : لاَ تقتلني صبرًا ! فقال علي (رضي الله عنه) : لاَ أقتلك صبرا ، إني أخاف الله رب العالمين .

وهو خبر صحيح : أخرجه الشافعي في الأم (٤/ ٢٢٤) ، وسعيد بن منصور في سننه (رقم ٢٩٥١) ، وابن أبي شيبة ، من وجوه .

ثم قال الإمام الشافعي عقبه : « وَالحَرْبُ يوم صفِّينَ قائِمَةٌ ، ومُعَاوِيَةُ يُقاتِلُ جادًّا في أَيَّامِهِ كُلِّها ، مُنتَصِفًا أو مُسْتعْلِيًا ، وعليٌّ يقول لِأَسِيرٍ من أصْحَابِ مُعاوِيَةَ : لا أَقْتُلُك صبْرًا ، إنّي

---

(١) فضائل أبي حنيفة لابن أبي العوام (ت٣٢٥هـ) – تحقيق لطيف الرحمن القاسمي – (رقم٣٢٧) .
وأخرجه ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب من وجه آخر ولفظ قريب (١/ ٢٩١) .

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب (١/ ٣٠٢) .

أَخَافُ الله ربَّ الْعالمِينَ !!» .

وعن زين العابدين علي بن حسين ، أن مروان بن الحكم ، قال له وهو أمير بالمدينة : ما رأيت أحدًا أحسنَ غَلَبَةً من أبيك علي بن أبي طالب ، ألا أحدثك عن غلبته إيانا يوم الجمل ؟ قلت : الأمير أعلم ، قال : لما التقينا يوم الجمل ، تواقفنا ، ثم حمل بعضنا على بعض ، فلم ينشب أهل البصرة أن انهزموا ، فصرخ صارخ لعلي : لا يُقتل مُدْبِرٌ ، ولا يُذَفَّف على جريح ، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن ، ومن طرح السلاح آمن . قال مروان : وقد كنت دخلت دار فلان ، ثم أرسلت إلى حسن وحسين ابني علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، فكلموه ، قال : هو آمن ، فليتوجه حيث شاء ، فقلت : لا والله ، ما تطيب نفسي حتى أبايعه ، فبايعته ، ثم قال : اذهب حيث شئت» .

أخرجه سعيد بن منصور في سننه واللفظ له (٢/ ٣٩٠-٣٨٩رقم٢٩٤٧) ، والبلاذري في أنساب الأشراف (٢٨/ ٢/ ٢٣٩رقم٥٤٢) ، بإسناد جيد .

وقال أبو أُمامة رضي الله عنه : «شهدت صفين ، فكانوا لا يجُهزون على جريح ، ولا يطلبون مُوَلّياً ، ولا يسلبون قتيلاً » .

أخرجه ابن سعد (٩/ ٤١٥) ، وابن أبي شيبة (رقم ٣٣٩٥٣) ، والحاكم وصححه (٢/ ١٥٦) ، بإسناد حسن .

وقال محمد بن علي بن أبي طالب الشهير بابن الحنفية عن يوم الجمل : «فلما هُزموا قال عليٌّ : لا تجُهزوا على جريح ، ولا تتبعوا مدبرا . وقُسم فيؤهم بينهم ، ما قوتل به من سلاح أو كراع . وأخذنا منهم ما أجلبوا به علينا من كراع أو سلاح» .

أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٩٥-٩٤) ، والبلاذري في أنساب الأشراف (٢٨/ ٢/ ٢٣٨-٢٣٩رقم٥٣٩) ، بإسناد حسن .

وروى أبو البختري سعيد بن فيروز ، قَالَ : « لمَّا انهَزَمَ أَهْلُ الجْمَلِ ، قَالَ عَلِيٌّ : لاَ يَطْلُبَنَّ عَبْدٌ خَارِجًا مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَمَا كَانَ مِنْ دَابَّةٍ أَوْ سِلاَحٍ فَهُوَ لَكُمْ ، وَلَيْسَ لَكُمْ أُمُّ وَلَدٍ ،

وَالمُوَارِيثُ عَلَى فَرَائِضِ الله ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ قُتِلَ زَوْجُهَا فَلْتَعْتَدَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا . قَالُوا : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، تحَِلُّ لَنَا دِمَاؤُهُمْ وَلاَ تحَِلُّ لَنَا نِسَاؤُهُمْ ؟! قَالَ : فَخَاصَمُوه ، فَقَالَ : كَذَلِكَ السِّيرَةُ فِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، قَالَ : فَهَاتُوا سِهَامَكُمْ وَاقْرَعُوا عَلَى عَائِشَةَ ، فَهِيَ رَأْسُ الأَمْرِ وَقَائِدُهُمْ ، قَالَ : فَعَرَفُوا ، وَقَالُوا : نَسْتَغْفِرُ اللهَّ ، قَالَ : فَخَصَمَهُمْ عَلِيٌّ» .

أخرجه ابن أبي شيبة (رقم٣٨٩٣٥) ، بإسناد حسن إلى أبي البختري ، لكن أبا البختري لم يسمع من علي . فأوردته لبيان ما كان يثبته هذا التابعي عن علي رضي الله عنه ، خاصة مع متابعاته السابقة واللاحقة ، التي تثبت عموم خبره .

وفي مصنف عبدالرزاق (رقم ١٨٥٩٤) من حديث ابن سيرين مرسلا .

وفي السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٨٢-١٨١) من وجوه .

وأورد الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال (رقم ٥٧٩) أثر كثير بن نمر (الذي سبق ذكره) ، قال : جاء رجل – لرجل من الخوارج – إلى علي ، فقال : يا أمير المؤمنين إني وجدت هذا يسبك ، قال : فسبه كما سبني ، قال : ويتوعدك ، فقال : لا أقتل من لم يقتلني ، قال علي : لهم علينا – قال أبو عبيد : حسبته قال : ثلاث – : أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها ، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا ، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا .

ثم قال أبو عبيد عقبه : «أفلا ترى أن عليا رأى للخوارج في الفيء حقا ، ما لم يظهروا الخروج على الناس ، وهو مع هذا يعلم أنهم يسبونه ويبلغون منه أكثر من السب ، إلا أنهم كانوا مع المسلمين في أمورهم ومحاضرهم ، حتى صاروا إلى الخروج بعد ، فكل هذا يثبت أن إجراء الأعطية والأرزاق إنما هو لأهل الحاضرة أهل الرد عن الإسلام والذب عنه ، وأما من سوى ذلك ، فإنما حقوقهم عند الحوادث تنزل بهم» .

الحرص على الألفة بين المسلمين

وعدم الخوض فيما يفرقهم

ورد نقلٌ مهم وجميل جدا في كتاب (الجامع الكافي في فقه آل محمد ﷺ) للإمام أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين الحسني الكوفي (ت٤٤٥هـ)[١] ، عامة هذا النقل من كتابٍ لأحد العلماء الثقات المعتنين بجمع علوم آل البيت : وهو أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد المرادي الكوفي (ت٢٩٠هـ)[٢] ، سماه بكتاب (الأُلفة والجملة)[٣].

وقد أورد الإمام ابن الوزير الصنعاني الشريف الحسني (ت٨٤٠هـ) في كتابه الجليل (العواصم والقواصم) فصلا بديعا وطويلا من هذا الكتاب :

ومما جاء في هذا النقل الطويل :

- قوله عن أحد أئمة آل البيت وهو أحمد بن عيسى بن زيد بن علي الحسيني (ت٢٤٧هـ) : رأيته يترحم على من يقول بخلق القرآن ، ومن لا يقول به ، وكان عنده الأخذ بالـجُمل محمودا ، وتَرْكُ ما فيه من الفُرقة ، وهو عنده الاتباع للسلف[٤]

---

(١) أثنى عليه الإمام الذهبي فقال : « الإمام، المحدث، الثقة، العالم، الفقيه، مسند الكوفة، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، الكوفي» . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٣٦) .
وكتابه من أوثق الكتب في نقل فقه الزيدية وآل البيت ، وقد طُبع بتحقيق عبد الله بن حمود العزي ، سنة ١٤٣٥هـ . مؤسسة المصطفى الثقافية : صعدة .

(٢) وثقه الدارقطني ، كما في سؤالات الحاكم له – تحقيق : محمد بن علي الأزهري – (رقم١٦٨) .

(٣) الجامع الكافي – الالكتروني ؛ لأن هذا الجزء لم يُطبع – (٢/ ٤٧٨) ، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٤٠٥-٣٨٨) .

(٤) الجامع الكافي – الالكتروني ؛ لأن هذا الجزء لم يُطبع – (٢/ ٤٧٨- ٤٧٩) ، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٤٠٥-٣٨٨) ، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٣٨٩-٣٨٨) .

.

- وأنه كان يقول عن المختلفين في خلق القرآن : كلا الفرقتين مخطئة في إقدام بعضهم على بعض بالبراءة[1] .
- ونقل عن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت١٤٥) ، أنه سئل عن بعض ما يختلف الناس فيه من المذاهب ، فلم يجُب فيه ، وقال : أعينوني على ما اجتمعنا عليه ، حتى نتفرغ لما اختلفنا فيه[2] .

وهذه عبارة ذهبية ، سبقت بأكثر من أحد عشر قرنا عبارة العلامة محمد رشيد رضا والداعية المجدد حسن البنا ، التي يقولان فيها : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه .

- ونقل عن أبي جعفر الباقر قوله : الزم ما اجتمع عليه المتفرقون[3] .

وفسره محمد بن منصور المرادي بقوله : اكتفِ بما لا اختلاف فيه ، ولا فُرقة ، من الجملة التي دلّ عليها الكتاب ، وما اجتُمع عليه من الخبر عن رسول الله ﷺ ، فإن المحنة عندنا في القرآن بدعة[4] .

- وقال محمد بن منصور المرادي : «رأيت المتفرّقين ، وعاشرتُ المختلفين في المقالات ، من الخاصة والعامة ، من علماء آل الرسول ، وأهل الفضل منهم ، وغيرهم من أهل العلم والفضل من الشيعة الموجبين لإنكار المنكر وحياطةِ الدِّين:

---

(١) الجامع الكافي – الالكتروني ؛ لأن هذا الجزء لم يُطبع – (٢/ ٤٧٨ – ٤٧٩) ،

(٢) الجامع الكافي – الالكتروني ؛ لأن هذا الجزء لم يُطبع – (٢/ ٤٨٨) ، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٤٠٠) .

(٣) الجامع الكافي – الالكتروني ؛ لأن هذا الجزء لم يُطبع – (٢/ ٤٩٢) ، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٤٠٤) .

(٤) المصدر السابق .

فما رأيتهم يُكفِّرُ بعضهم بعضًا ، ولا يستحلّون ذلك ، ولا يَبْرأُ بعضُهم من بعض . بل قد رأيت بعضهم يتولَّىٰ بعضًا ، ويترحّم عليه ، بعد المعرفة منهم بمخالفة بعضهم بعضًا في المقالات»[1].

ولو أطعت نفسي لنقلت هذا الفصل الطويل بتمامه من كتاب (الـجُمْلة والألفة) للمرادي، والذي بيّن ما كان عليه آل بيت النبي ﷺ ورضي الله عنهم من حرص على وحدة المسلمين ، وعدم الخوض فيما يفرقهم ، وكراهية الألقاب التي فرقت جماعتهم ، وعدم امتحان الناس بدقائق العقائد وفروعها التي فرقتهم ، والاكتفاء منهم بالإجمال الذي ورد في القرآن والسنة ، وعدم إلزامهم بقول من تلك الدقائق التي اختلف فيها المتفرقون . وهذا أحد أسرار تسمية المرادي لكتابه بـ(الـجُمْلة والألفة) ؛ لأن سبيل الألفة وبقاء وحدة الصف بين المسلمين هو في الاكتفاء بأصول العقائد التي عليها تجتمع كلمتهم ، وهي (الـجُملة) ، وعدم تعريضهم للنزاع في التفاريع العقدية .

واللطيف أن أجد أحد أكابر أهل السنة يؤرخ فيه لهذا المنهج القويم الذي كان عليه سلف أهل السنة ، قبل حصول الفتن والتنازع ! فقد قال الإمام أحمد : «قال عبد الرحمن بن مهدي أدركتُ الناسَ وهم على الـجُمَل ، يعني : لا يتكلّمون ، أي : ولا يخاصمون»[2] .

وعبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ) ، من كبار أئمة السنة والأثر ومن أعلام نقادها كما هو معلوم .

وهكذا تلتقي علوم أئمة السنة وعلوم آل لبيت على الحرص على وحدة المسلمين والسعي لتوحيد كلمتهم .

---

(١) الجامع الكافي – الالكتروني ؛ لأن هذا الجزء لم يُطبع – (٢/ ٤٨٣) ، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٤/ ٣٩٤) .

(٢) العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد – رواية ابنه عبد الله – (رقم ١٤٤٧) .

كشاف الموضوعات